(13)

اتباع خطى القرآن الكريم في رسم مناهج العلوم الإسلامية

د: الأمين عبد الحفيظ أبو بكر

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أهداف البحث وأهميته:

لا شك أن تحديد الهدف هو الخطوة الأولى في كل عمل يقوم به الإنسان، لاسيما الأعمال العلمية، وهدفنا في هذا البحث التنبيه على بعض المعالم والخطوات التربوية التي نهجها القرآن الكريم لهداية الناس وتعليمهم، قال -تعالى-: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾(1)، وقال -تعالى-: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾(2).

والذي ينبغي مراعاته تربوياً عند تحديد الأهداف أن تكون شاملة لجميع نواحي الشخصية، بدنياً وعقلياً وروحياً ونفسياً واجتماعياً، وأن تكون مناسبة لمستوى المتلقي، وأن تكون مراعية لمصالح الفرد والجماعة، ومرتكزة على فلسفة سليمة، وخالية من التناقض(3).

والقرآن الكريم اشتمل على كل هذا، وأهدافه ثابتة لا تتغير، يقول أحد الكتّاب المسلمين: "ثبات الأهداف إذا ما اشتقت من مصدر لا يتغير كالقرآن الكريم، بحكم كونه نصاً إلهياً لا يأتيه الباطل، وثبات الأهداف يحقق للنظم التعليمية القدرة على إنجاز مهامها في ظل وضوح رؤية نابعة من وضوح الأهداف واستقرارها. أما الأهداف الموضوعة باجتهادات بشرية فهي تخضع للأهواء السياسية المتقلبة وحسابات المصالح القصيرة الأمد، وهو ما يسبب قلقاً دائماً للنظم التعليمية) (4)، ويقول الإمام الغزالي مركزاً على الهدف الأسمى للتربية: "هو التقرب لله – تعالى -، والاستعداد للحياة الأخروية، ولذلك دعا إلى تربية الصبيان تربية دينية وخلفية، قوامها التقشف، والزهد في الملذات حتى البريئة منها"(5)، ويقول ابن سينا في تعريفه للتربية: إنها "وسيلة إعداد الناشئ للدين والدنيا في آن واحد، وتكوينه عقلياً وخلقياً، وجعله قادراً على اكتساب صناعةٍ تناسب ميوله وطبيعته، وتمكنه من كسب عيشه"(6). أما ابن خلدون فقد أكد في آرائه التربوية على

(1) سورة النحل: 44.

(2) النحل: 89.

(3) المناهج، د. الدمرداش، طب 3، ص: 7.

(4) نحو ثقافة إسلامية ، د. مصطفى رجب، ص: 22.

(5) أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، د. عبد الحميد الصيد الزنتاني، ص: 24.

(6) أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص: 24.

"ضرورة العناية بتنمية عقل المتعلم ومراعاة استعداداته العقلية"(1)، وقد أجمل د. عبد الحميد الصيد الزنتاني مفهوم التربية، فقال: "إنها عملية تشكيل الشخصية السوية المتكاملة في جميع جوانبها روحياً وعقلياً ووجدانياً وخلقياً وجسمياً، والقادرة على التكيف مع البيئة الاجتماعية والطبيعية التي يعيش فيها"(2).

والقرآن يهدف إلى تكوين هذه الشخصية السوية من خلال الأهداف والخصائص التي اختص بها، ومنها:

المبحث الأول: الأهداف:

أولا: إصلاح الاعتقاد:

إن أول ما يهدف إليه القرآن الكريم إصلاح الاعتقاد والدعوة إلى توحيد الله - سبحانه وتعالى -، وإفراده بالعبادة والاستعانة، فلا يشرك به أحداً، ولا يشرك معه شيئاً(3)، وذلك استجابة لقول الله - تعالى -: ﴿**إِياكَ نَعبد وإِياكَ نَستَعِين**﴾(4)، وقوله - تعالى -: ﴿**وَمَا خَلَقت الجِن وَالإِنسَ إِلا لِيَعبدونِ * مَا أَرِيد مِنهم من رزقٍ وَمَا أَرِيد أَن يطعِمونِ*إِن اللهَ هوَ الرزاق ذو القوةِ المَتِين**﴾(5)، فحياة المرء كلها مرهونة لعبادة الله وطلب مرضاته، قال -تعالى-: ﴿**قل إِن صَلاَتِي وَنسكِي وَمَحيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَب العَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَه وَبِذَلِكَ أمِرت وَأَنَا أَول المسلِمِينَ**﴾(6).

والإنسان لم يخلق لنفسه، فكل شيء في هذا الكون قد خلق ليؤدي خدمة، وهو لم يخلق لخدمة شيء آخر من المخلوقات، فكل ما في الكون سخر لخدمته(7)، قال -تعالى-: ﴿ **أَلَم تَرَوا أَن اللهَ سَخرَ لَكم ما فِي السمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرضِ وَأَسبَغَ عَلَيكم نِعَمَه ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً**﴾(8)، لهذا يتوجب على المسلم شكر المنعم على ما أنعم الله عليه، قال -تعالى-: ﴿ **بَلِ اللهَ فَاعبد وَكن من**

(1) أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص: 24.

(2) أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص: 25.

(3) التحرير والتنوير، ص: 491، والخصائص العامة للإسلام، د. القرضاوي، ص: 10.

(4) الفاتحة: 5.

(5) الآيات: 56-58.

(6) الأنعام: 162-163.

(7) الخصائص العامة للإسلامية، ص: 11- 12.

(8) لقمان، الآية: 20.

الشاكرين﴾(1)، وقال: **﴿وَالله أَخرَجكم من بطونِ أمهَاتِكم لاَ تعلَمونَ شَيئاً وَجَعلَ لَكم السمعَ وَالأَبصَارَ وَالأَفئِدَةَ لَعَلكم تَشكرونَ﴾**(2)، وقال: **﴿فَاذكرونِي أَذكرْكم وَاشكروا لِي وَلاَ تَكفرونِ﴾**(3).

ثانياً: تهذيب الأخلاق والسمو بالنفس الإنسانية إلى مرتبة أعلى:

لقد حدد رسول الله -ﷺ- الغاية الأولى من بعثته، والمنهاج المبين في دعوته، حيث قال: "**إنمَا بعثت لِأتمم مَكَارِمَ الأخلَاقِ**"(4)، وقد شرعت العبادات في الإسلام لتعويد الأخلاق الصحيحة وترسيخها في نفوس العباد، فالصلاة - مثلا - تطهير من سوء القول وسوء العمل وبعد عن الرذائل، قال - تعالى-: **﴿وَأَقِمِ الصلَاةَ إِن الصلَاةَ تَنهَى عَنِ الفَحشَاء وَالمنكرِ﴾**(5)، والزكاة المفروضة ليست ضريبة تؤخذ من الحبوب، بل هي غرس لمشاعر الحنان والرأفة وتوطيد لعلاقات التعارف والألفة بين المسلمين، قال – تعالى -: **﴿خذ مِن أَموَالِهِم صَدَقَةً تطَهرهم وَتزَكيهِم بِهَا﴾**(6).

والصوم جنة وخطوة إلى حرمان النفس من شهواتها المحظورة ونزواتها المتكررة، قال -ﷺ-: "**لَيسَ الصيَام مِنَ الأَكلِ وَالشربِ، إِنمَا الصيَام مِنَ اللغوِ والرفَثِ، فَإِن سَابكَ أَحد أَو جَهِلَ عَلَيكَ فَقل: إِني صَائِمٌ**"(7)، وفي الحج قال -تعالى-: **﴿الحَج أَشهرٌ معلومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِن الحَج فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فسوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الحَج وَمَا تَفعَلوا مِن خَيرٍ يَعلَمه الله وَتزَودوا فَإِن خَيرَ الزادِ التقوَى وَاتقونِ يَا أولِي الأَلبَابِ﴾**(8).

فالإيمان بالواحد الأحد والعبادة والأخلاق عناصر متلازمة ومتماسكة، لابد من توافرها ووجودها في المسلم الحق، وإلا فلا فائدة من عبادته(9).

لقد سأل رسول الله -ﷺ- أصحابه يوماً فقال: "**أَتَدرونَ مَنِ المفلس؟ قَالوا: المفلس فِينَا مَن لاَ دِرهَمَ لَه وَلاَ مَتَاعَ، فَقَالَ: المفلس مِن أمتِي مَن يَأتِي يَومَ القِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَزَكَاةٍ**

(1) الزمر: 66.

(2) النحل: 78.

(3) البقرة: 152.

(4) رواه مالك في الموطأ.

(5) العنكبوت: 45.

(6) التوبة: 103.

(7) رواه الحاكم، وقال صحيح على شريط مسلم. ينظر: تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج، 94/2.

(8) البقرة: 197.

(9) خلق المسلم، لمحمد الغزالي، ص: 7 – 11.

وَصِيامٍ، وَيَأْتِي وَقَد شَتَمَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَربَ هَذا، فيعطي هذا مِن حَسنَاته، وَهذَا مِن حَسنَاتِه، فَإِن فَنِيَت حَسنَاته قَبلَ أَن يقضي مَا عَلَيه أخذَ مِن خَطَايَاهم فَطرِحَت عَلَيهِ ثم طرِحَ فِي النار"[1]، وسئِلَ -ﷺ-: **"أَي المؤمنِينَ أَكمَل إِيمَاناً؟ قَالَ : أَحسَنهم خلقاً"**[2]، وقال: **"مَا مِن شَيءٍ أَثقَل فِي مِيزَانِ المؤمِنِ يَومَ القِيَامَة مِن خلقٍ حَسَنٍ، إن اللهَ يَكرَه الفَاحِشَ البَذِيءَ، وَإِن صَاحِبَ حسنِ الخلق لَيَبلغ به دَرَجَةَ الصوم والصلاَةِ"**[3].

يقول محمد الغزالي -رحمة الله-: "إن الإسلام يحترم الفطرة الخالصة، ويري تعاليمه صدى لها، ويحذر الأهواء الجامحة، ويقيم السدود في وجهها، والعبادات التي أمر بها هي تدعيم للفطرة وترويض للهوى، ولن تبلغ هذه العبادات تمامها وتؤدي رسالتها إلا إذا كانت كلها روافد لتكوين الخلق العالي والمسلك المستقيم"[4].

أما ما يتعلق بسمو النفس الإنسانية فأفضل من تكلم عنها في العصر الحديث أستاذنا الفاضل الدكتور: عمر محمد التومي الشيباني، حيث قال: "إن المقصود بالنفس عند القائلين بهذا الهدف هو الروح لا البدن، وتصل إلى الملكوت الأعلى وترتبط بخالقها وبربها، والفرد عند القائلين بهذا الهدف له نفسان: إحداهما: دُنيا تميل به إلى الانغماس في الملذات والتمرد والعصيان، وثانيهما: عُليا تترفع به عن المثل الدنيا، وتؤثر التضحية والخضوع بالتربية، فكل عملية تربوية ينبغي أن توجه إلى صياغة هذه النفس أحسن صياغة، وتعمل على امتداد مجالها وبسط قواها إلى أقصى ما يمكن أن تمتد إليه، كما ينبغي أن تحطم النفس الدنيا ويضحي بها، والفكر الإسلامي لا يعارض في اتخاذ (تحقيق النفس) هدفاً أعلى، أو على الأقل هدفاً أساسياً للتربية، وإنما الذي يعارضه هو قصر تحقيق النفس على الجانب الروحي وإهمال ما عدا الروح، أو على الأقل اعتبار ما عدا الروح أمراً ثانوياً، فالإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه روح وعقل وجسم، وأنه لا يحقق نفسه أو ذاته إلا إذا أشبع حاجاته الروحية والعقلية والبدنية، وحقق النمو لكافة قواه الروحية والنفسية والبدنية"[5].

---

(1) رواه الترمذي في سننه، 1، رقم: 2533، وقال: حسن صحيح، وذكره في: المفهم لما أشكل في تلخيص مسلم، لأبي العباس أحمد، باب: من أدرك مالا عنده مفلس، 65/14.

(2) رواه الطبراني في الأوسط. ينظر: كتاب: صحيح الترغيب والترهيب، للألباني، باب الترغيب في الحياة، 8/3، وقال: صحيح لغيره.

(3) رواه الترمذي عن أبي الدرداء، وقال: حسن. ينظر: مختصر شرح الجامع الصغير، 254/2.

(4) خلق المسلم، ص: 25.

(5) فلسفة التربية الإسلامية، ص: 289 - 290.

ثم يؤكد بعد ذلك على روح الانتماء والمواطنة الصالحة كهدف أعلى للتربية بكونها من صميم خلق المسلم، وعلامة من علامات إيمانه، ... بقوله: "... ويعتبر الصلاح الديني والخلقي وما يرتبط به من إيمان بالله واليوم الآخر وتمسك بتعاليم الدين وأخلاقه ركناً أساسياً من أركان المواطنة الصالحة، ومقوماً من أهم مقومات المواطن الصالح"(1).

ويهدف القرآن الكريم بتهذيب أخلاق المسلم إلى غايات نبيلة، منها(2):

1. إصلاح ذات الفرد مع ربه في السر والعلانية، وبناء استقامته على مراقبته الدائمة لله -تعالى-، وكأنه يراه، وإحساسه بحضور الدائم معه، وإخلاص العبادة والطاعة له.

2. تكوين الرقيب الأخلاقي الذاتي النابع من ضمير الفرد والموجه لسلوكه والضابط لتصرفاته والمحاسب له والمحرك المستمر لجوانب الخير والاستقامة في نفسه.

3. تقوية إرادة الفرد وإحساسه بمسؤولية الذاتية في تهذيب غرائزه ودوافعه وضبط انفعالاته وعواطفه.

4. ترقية السلوك الإنساني، وترشيده في نفسه وفق القيم الدينية.

5. تقوية النفس البشرية، وعفتها، وتحصينها من التردي في مهاوي الشهوات والملذات.

6. غرس الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة والآداب الفاضلة، وترسيخها في النفس.

7. شعوره بالمسؤولية الخلقية تجاه الجماعة، وصون عقيدتها ونظامها الأخلاقي وكيانها الاجتماعي.

8. تكوين الجماعة الفاضلة التي تتعاطف وتتراحم فيما بينها، وكأنها جسد واحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر.

ثالثاً : تكريم الإنسان واحترام آدميته:

الإنسان مخلوق متميز، ميزه الله وكرمه وفضله على كثير من خلقه؛ بما وهبه من عقل وعلم، وهو المحور الأساس الذي ترتكز عليه الحياة بكل ما فيها من حركة ونشاط، وهو موضع الرسالات السماوية ودعوات الإصلاح على مر العصور والأزمان، ومحط اهتمام الفلاسفة والمفكرين على امتداد التاريخ؛ لِمَا وهبه الله من مواهب وقدرات، وقد حمّله الله أمانة التكاليف، وحرية الاختيار ومسؤوليته، والمحافظة على القيم، لا لذاته وشخصه، ولكن لإيمانه

(1) فلسفة التربية الإسلامية، ص: 290.

(2) أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص: 760-761.

وتقواه وخلقه وعقله وعمله[1]، قال -تعالى-: ﴿وَلَقَد كَرمنَا بَنِي آدَمَ وَحَملنَاهم فِي البَر وَالبَحرِ وَرَزَقنَاهم منَ الطيبَاتِ وَفَضلنَاهم عَلَى كَثِيرٍ ممن خَلَقنَا تَفضِيلاً﴾[2]، ولقد جعله الله في الأرض يسخرها كيف ما شاء بأمر الله، وهي منزلة لن ينالها أي مخلوق سواه، قال -تعالى-: ﴿ وَإِذ قَالَ رَبكَ لِلمَلاَئِكَةِ إِني جَاعِلٌ فِي الأَرضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجعَلُ فِيهَا مَن يُفسِدُ فِيهَا وَيَسفِكُ الدمَاء وَنَحنُ نُسَبحُ بِحَمدِكَ وَنُقَدسُ لَكَ قَالَ إِني أَعلَمُ مَا لاَ تَعلَمُونَ * وَعَلمَ آدَمَ الأَسمَاء كُلهَا ثُم عَرَضَهُم عَلَى المَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُم صَادِقِينَ * قَالُوا سُبحَانَكَ لاَ عِلمَ لَنَا إِلا مَا عَلمتَنَا إِنكَ أَنتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئهُم بِأَسمَآئِهِم فَلَما أَنبَأَهُم بِأَسمَآئِهِم قَالَ أَلَم أَقُل لكُم إِني أَعلَمُ غَيبَ السمَاوَاتِ وَالأَرضِ وَأَعلَمُ مَا تُبدُونَ وَمَا كُنتُم تَكتُمُونَ﴾[3].

كما أخبر القرآن الكريم كذلك بأن الله كرَّم الإنسان بالصورة الحسنة وبالخلقة الحسنة، قال الله -تعالى-: ﴿لَقَد خَلَقنَا الإِنسَانَ فِي أَحسَنِ تَقوِيمٍ﴾[4]، وقال: ﴿وَصَوَّرَكُم فَأَحسَنَ صُوَرَكُم﴾[5]، وقد كان النبي -ﷺ- يقول في سجوده: "سَجَدَ وَجهِي لِلذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ وَشَقَّ سَمعَهُ وَبَصَرَهُ، فَتَبَارَكَ اللهُ أَحسَنُ الخَالِقِينَ"[6].

ولقد كرم الله الإنسان أيضاً بالروح العلوي الذي أودعه بين جنبيه، فهو كما قال الشيخ القرضاوي: "قبس من نور الله، ونفحة من روح الله، استحق به أن تنحي له الملائكة إجلالاً وإكباراً، لمقدمه بأمر الله"[7]، قال -تعالى- لملائكته: ﴿إِني خَالِقٌ بَشَراً من صَلصَالٍ من حَمَإٍ مسنُونٍ * فَإِذَا سَويتُهُ وَنَفَختُ فِيهِ مِن روحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[8].

ومن تكريم الله للإنسان أنه جعل الكون كله من كائنات حية وجمادات ونحوها، في خدمة الإنسان ومنفعته ومصلحته، قال -تعالى-: ﴿اللهُ الذِي خَلَقَ السمَاوَاتِ وَالأَرضَ وَأَنزَلَ مِنَ السمَاءِ مَاءً فَأَخرَجَ بِهِ مِنَ الثمَرَاتِ رِزقاً لكُم وَسَخرَ لَكُمُ الفُلكَ لِتَجرِيَ فِي البَحرِ بِأَمرِهِ وَسَخرَ لَكُمُ الأَنهَارَ *

(1) فلسفة التربية الإسلامية، ص: 72 وما بعدها، ومنهج الحضارة الإنسانية في القرآن، للبوطي، ص: 43 – 45.

(2) الإسراء: 70.

(3) البقرة: 30 -33.

(4) التين: 4.

(5) غافر: 64.

(6) مسلم، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه، 534/1، رقم: (771).

(7) الخصائص العامة للإسلامية، للقرضاوي، ص: 75.

(8) الحجر: 28 - 29.

وَسَخر لَكم الشمسَ وَالقَمَرَ دَآئِبَيْنَ وَسَخرَ لَكم الليلَ وَالنَهَارَ * وَآتَاكم من كل مَا سَأَلتموه وَإِن تَعدوا نِعمَتَ اللهِ لاَ تحصوهَا ﴾(1).

ومن تكريم الله للإنسان أنه فتح له باب التقرب إليه -سبحانه وتعالى- متى شاء، وأي وقت شاء، فلا وسيط بينه وبين ربه ولا حجاب(2)، قال -تعالى-: **﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَني فَإِني قَرِيبٌ أجيب دَعوَةَ الداعِ إِذَا دَعَانِ ﴾**(3)، وقال: **﴿وَقَالَ رَبكم ادعونِي أَستَجِب لَكم ﴾**(4)، وفي الحديث القدسي: "**مَن تَقَربَ إِلَى اللهِ شِبراً تَقَربَ إِلَيهِ ذِرَاعاً، وَمَن تَقَربَ إليه ذِرَاعًا تَقَربَ إِلِيهِ بَاعاً**"(5).

ومن دلائل تكريم الله للإنسان أنه حث على احترام الإنسان للإنسان، ونهي عن الاعتداء عليه مهما كان معتقده وديانته، وجعل قتل النفس البشرية قتلاً لجميع الناس، قال -تعالى- بعد أن قص علينا قتل أحد ابني آدم لأخيه: **﴿مِن أَجلِ ذَلِكَ كَتَبنَا عَلَى بَنِي إِسرَائِيلَ أَنه مَن قَتَلَ نَفساً بِغَيرِ نَفسٍ أَو فَسَادٍ فِي الأَرضِ فَكَأَنمَا قَتَلَ الناسَ جَمِيعاً وَمَن أَحيَاهَا فَكَأَنمَا أَحيَا الناسَ جَمِيعاً وَلَقَد جَاءتهم رسلنَا بِالبَيِّنَاتِ ثم إِن كَثِيراً منهم بَعدَ ذَلِكَ فِي الأَرضِ لَمسرِفونَ﴾**(6).

وما تحريم الظلم والفواحش وأكل أموال الناس بالباطل التي نهت عنها جميع الرسالات السماوية إلا دليلٌ على احترام آدمية الإنسان وتكريمه، قال -تعالى-: **﴿قل تَعَالَوا أَتل مَا حَرمَ رَبكم عَلَيكم أَلا تشرِكوا بِهِ شَيئاً وَبِالوَالِدَينِ إِحسَاناً وَلاَ تَقتلوا أَولاَدَكم من إملاَقٍ نحن نَرزقكم وَإِياهم وَلاَ تَقرَبوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقتلوا النفسَ التِي حَرمَ اللهُ إِلا بِالحَق ذَلِكم وَصاكم بِهِ لَعَلكم تَعقِلونَ﴾**(7).

(1) إبراهيم: 32- 34.

(2) نحو ثقافة إسلامية، د. مصطفى رجب، ص: 5، والخصائص العامة للإسلام، ص: 79 – 80.

(3) البقرة: 186.

(4) غافر: 60.

(5) رواه أحمد والطبراني من حديث أبي ذر، وقال الهيثمي: إسنادهما حسن. ينظر: جامع الأحاديث، عبد الرحمن السيوطي، باب: حرف الميم، 173/20، رقم: (21819).

(6) المائدة: 32.

(7) الأنعام: 151.

وخلاصة القول في هذه الجزئية يقول سعادة الشيخ: محمد سعيد البوطي: "وخلاصة ما ذكرناه أن القرآن يربي الإنسان بغذاءين اثنين: أحدهما: ينمي فيه الشعور بثقافة أصله وبعبوديته الثابتة لله -عز وجل-، ثانيهما: ينمي فيه الشعور بعزته وكرامته وأهميته في الكون الذي خلق فيه".

رابعاً: مواجهة الإنسان مغريات الحياة:

إن الله -سبحانه وتعالى- خلق في هذه الدنيا مغريات، وقدر أن يكون الشر ملازماً للخير، وخلق مع الإنسان الشيطان، وهو عدوة الأول، ومنذ أن خلق الإنسان أقسم الشيطان بأنه سيغريه، ليخرجه من الجنة التي خرج منها مذموماً بسبب الإنسان، والله -سبحانه- حذر بني آدم من إتباعه، قال -تعالى-: **﴿يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنكُم الشيطَان كَمَا أَخرَجَ أَبَوَيكم منَ الجَنةِ يَنزِع عَنهمَا لِبَاسَهمَا لِيرِيَهمَا سَوءَاتِهِمَا إِنه يَرَاكم هوَ وَقَبِيله مِن حَيث لاَ تَرَونَهم إِنا جَعَلنَا الشيَاطِينَ أَولِيَاء لِلذِينَ لاَ يؤمِنونَ﴾**[1].

ومن مغريات الحياة الدنيا سيطرة الهوى على الإنسان وإتباع الشهوات الدنيئة والفواحش ما ظهر منها وما بطن ، قال تعالى: **﴿فَأَما مَن طَغَى * وَآثَرَ الحَيَاةَ الدنيَا * فَإِن الجَحِيمَ هِيَ المَأْوَى * وَأَما مَن خَافَ مَقَامَ رَبهِ وَنَهَى النفسَ عَنِ الهَوَى * فَإِن الجَنةَ هِيَ المَأْوَى﴾**[2].

ومن ثمرات الإيمان حين يستقر في أعماق النفس يحرر الإنسان من عبودية الهوى والشهوات النفس وملذاتها، ومن الخضوع والاستسلام لمطالبة المادية ورغباته الشخصية لأن المؤمن الحق يستطيع الموازنة بين رغبات ومتطلبات دينه، وبين ما يمليه عليه الهوى وما يمليه عليه الواجب بين متعة اليوم وحساب الغد[3].

والإنسان الرباني الذي يخاف الله هو الإنسان الأواب الذي يشعر بالتقصير كلما زل، ويرجع إلى الله كلما أذنب، قال -تعالى-: **﴿إِنه كَانَ لِلأَوابِينَ غَفوراً﴾**[4]، وقال -سبحانه-: **﴿وَالذِينَ إِذَا فَعَلوا فَاحِشَةً أَو ظَلَموا أَنفسَهم ذَكَروا اللهَ فَاستَغفَروا لِذنوبِهِم وَمَن يَغفِر الذنوبَ إِلا الله وَلَم يصِروا عَلَى مَا فَعَلوا وَهم يَعلَمونَ﴾**[5]، وقال في آية أخرى: **﴿رَبنَا ظَلَمنَا أَنفسَنَا وَإِن لم تَغفِر لَنَا وَتَرحَمنَا لَنَكونَن مِنَ الخَاسِرِينَ﴾**[6]، وقال: **﴿فَتَلَقى آدَم مِن ربهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيهِ إِنه هوَ التواب الرحِيم﴾**[7].

(1) سورة الأعراف، الآية: 27.

(2) سورة النازعات، الآية: 37 - 41.

(3) الخصائص العامة لإسلام، ص: 18 – 19.

(4) سورة الإسراء، الآية: 25.

(5) سورة آل عمران، الآية: 135.

(6) سورة الأعراف، الآية: 23.

(7) سورة البقرة، الآية: 37.

خامساً: إعداد الإنسان للدنيا والآخرة:

من الأهداف الرئيسة للإسلام وجوب العناية بأمر الدين والدنيا معاً وإعداد الإنسان لهما ليوازن بين متطلباته في الحياة الدنيا ومتطلبات الحياة الآخرة بحيث لا تطغى إحدى الحياتين على الأخرى فمن الخصائص البارزة للإسلام جمعه بين العقيدة والشريعة وبين الجسم والروح وبين الدنيا والآخرة، وتحريمه للرهينة، وعدم إقراره الانقطاع التام للعبادة أو الانسحاب من المجتمع والزهادة فيه أو الانعزال عنه، ودعوته للإنسان إلى العمل والإنتاج وجعله رهيناً بعمله، وإنكاره عليه التخلي عن العمل وعدم الأخذ بالأسباب.

وقد حث الإسلام في كثير من آياته على العلم وتحصيل المعرفة والبحث العلمي والرياضة وتربية الأجسام، وعلى تعليم المهارات والصناعات[1]، قال -تعالى-: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدنيَا**﴾[2]، وجاء في الأثر: "**اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا**"[3]، وقال عمر -رضي عنه-: "**علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل**"، وغيرها من الأدلة. هذا وقد ذكر محمد عطية الأبراش خمسة أهداف عامة أساسية للتربية الإسلامية، وخلاصتها:

1. الوصول إلى الفضيلة والخلق الكامل.
2. الإعداد للحياة الدنيا والحياة الآخرة.
3. الإعداد لكسب الرزق والعناية بالنواحي النفعية.
4. تنمية الروح العلمية لدى المتعلم.
5. إعداد المتعلم مهنياً وفنياً وصناعياً[4].

وأضاف إليها د. محمد سعيد البوطي أهدافاً أخرى، منها: بلوغ مرضاة الله وتحقيق العبودية الخالصة له، وتمكن الروح الوطنية في النفوس على أساس الدين، ودعم الوحدة الوطنية وتوحيد الصفوف والتضامن حول المبادئ والمعتقدات الإسلامية[5].

(1) فلسفة التربية الإسلامية، ص: 292 – 293.

(2) سورة القصص، الآية: 77.

(3) ينظر: التلخيص المعين في شرح الأربعين: 196/1.

(4) التربية الإسلامية وفلسفتها، للأبراش، ص: 22 – 25.

(5) تجربة التربية الإسلامية في ميزان البحث وما بعدها، للبوطي، ص: 25، وفلسفة التربية الإسلامية، لعمر محمد التومي الشيباني، ص: 300 – 302.

المبحث الثاني: الخصائص:

إن ما يميز القرآن الكريم عن غيره من الكتب والثقافات تلك الأهداف والخصائص والمبادئ التي اختص بها دون غيره، وما تحويه هذه المبادئ من قيم ومعايير لمختلف جوانب الحياة ومناشطها، وهي تفي بكل حاجات الأفراد الذين يعيشون فيه وحاجات العالم بأسره.

ومن أبرز هذه الخصائص أن منهج القرآن الكريم منهج إلهي يقوم على ترسيخ العقيدة الصحيحة، ويهدف إلى إقامة العدل وتكافؤ الفرص والمساواة بين المسلمين ويدعو إلى التأمل والنظر في الكون، ويتخذ سبيل التيسير في التدين مراعاة لأحوال الناس ورفع الحرج عنهم، ويتحلى بالتدرج في تربية الأفراد والجماعات، وهو كتاب جامع كامل شامل لكل متطلبات الحياة المادية والروحية، متوازن ومعتدل ووسطي في أحكامه وتشريعاته واضح المعالم والمعاني وخال من التناقض والتضارب، ويتصف بالثبات والمرونة في نصوصه، وواقعي وقابل للتطبيق في كل زمان ومكان.

وإليكم عرضا موجز لبعض هذه الخصائص:

أولاً: القرآن الكريم منهج إلهي:

نعم القرآن الكريم منهج إلهي يقوم على ترسيخ عقيدة التوحيد في نفس المسلم بمعرفة الخالق ومعرفة صفاته، وعلاقته بالخلق، ومعرفة النفس البشرية وغاية وجودها، ومواطن قوتها وضعفها وعلاقتها بما خولها، ومنشأها ومصيرها، ثم التكليف بالعبادات التي لا يكلف بها الإنسان إلا وهو مدرك لما يفعل، فيصلي ويصوم ويعمل الخير وينهي عن المنكر، لا خوفاً من أحد، ولا إرضاءً لمعبود لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، بل لأجل الله وحده حباً وطواعية، أو خشية منه ومن عقابه في الآخرة(1).

وهذه هي ثمرات الإيمان والتوحيد ، يهتدي الإنسان إلى فطرته التي فطره الله عليها، قال - تعالى -: ﴿**فَأَقِم وَجهَكَ لِلدينِ حَنيفاً فِطرَةَ اللهِ التِي فَطَرَ النَاسَ عَلَيهَا لَا تَبدِيلَ لِخَلقِ اللهِ**﴾(2)، فبتوحيد الله الفطري وحده يشبع الإنسان عقله وروحه ولا يملأ فراغه إلا الإيمان به سبحانه(3)، قال -تعالى-: ﴿**اعبدوا اللهَ مَا لَكم من إلَهٍ غَيره**﴾(4).

(1) منهج القرآن في التربية، محمد شديد، ط: 1، ص: 83.

(2) سورة الروم، الآية: 30.

(3) الإيمان والحياة للقرضاوي، ص: 94.

(4) سورة الأعراف، الآية: 59.

والمنهج الإلهي بعيد عن الأعراض والهوى، فلا مصلحة فيه لصاحب المنهج، والفائدة فيه عائدة على الإنسان، ومشرعه عالم بما كان وما سيكون، فهو صالح لكل زمان ومكان، فيه خير الدنيا والآخرة، وهو منهج محكم لا يحتاج إلى تعديل أو تطوير، بل هو منهج متجدد ومتطور بطبعه[1]، قال -تعالى-: ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾[2].

ولذلك فإن كل ما ورد في القرآن عن الإنسان والكون حقائق لا يتطرق إليها الشك، وتظل علاقة الإنسان بالإنسان وعلاقته بالطبيعة ثابتة لا تتغير الزمان والمكان ولكن المتغير هو الإنسان ومدى قربه وبعده عن هذا المنهج[3].

عليه ينبغي ربط كل المقررات الدراسية بالعقيدة وعلم التوحيد في تناولها ووضعها وتدريسها، ولا سيما العلوم الإسلامية والعربية لكي تجني الثمرة المرجوة منها وتنعكس على حياة المسلم عملاً وسلوكاً.

ثانياً: تقرير مبدأ تكافؤ الفرص بين البشرية (الإخاء والمساواة والحرية):

لقد ربط القرآن الكريم بين الإنسانية بثلاثة روابط أساسية أولها رباط التوحيد، قال -تعالى-: ﴿**وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**﴾[4]، والرباط الثاني وحدة الأصل والمنبت، الذي يتضح من خلاله الإنسان بكون البشر جميعهم أبناء آدم وحواء، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**﴾[5]، ثم أكد القرآن الكريم على هذا الإخاء العام بين البشر وزادة توثيقاً بين المؤمنين فقال -سبحانه: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾[6]، وقال -ﷺ-: "**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه**"[7]، فلا منافاة بين الأخوة الإنسانية والأخوة الإيمانية، ولقد طبق -ﷺ- هذا الإخاء الرفيع وأقام على أساسه

(1) منهج القرآن في التربية، ط: 1، ص: 7.

(2) سورة المائدة، الآية: 50.

(3) المصدر نفسه.

(4) سورة البقرة، الآية: 163.

(5) سورة النساء، الآية: 1.

(6) سورة الحجرات، الآية: 10.

(7) رواه البخاري، باب: أَعِنْ أخاك ظالماً أو مظلوماً، 2/862، رقم: 2310.

مجتمعاً مؤمناً فريداً في المدينة المنورة، شعاره: "**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**"[(1)]، حيث آخى -ﷺ- بين المهاجرين والأنصار وقضى على الطبقية والفوارق التي كانت سائدة في الجاهلية[(2)].

أما الرباط الثالث فهو وحدة المصير في المعاد، قال -تعالى-: ﴿**إِنا نَحن نُحيِي وَنمِيت وَإِلَينَا المَصِير**﴾[(3)].

أما مبدأ المساواة بين الإنسانية فأساسه تكريم الله للإنسان من حيث هو إنسان، من أي سلالة كان أو من أي لون كان، ومن غير تفرقة بين عنصر وعنصر أو بين قوم وقوم، قال -تعالى-: ﴿**يَا أَيهَا الناس إِنا خَلَقنَاكم من ذَكَرٍ وَأنثَى وَجَعلنَاكم شعوباً وَقبَائِلَ لِتَعارَفوا إِن أَكرَمَكم عِندَ اللهِ أَتقَاكم إِن اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[(4)]، فلا فضل لإنسان على إنسان مهما كان جنسه أو لونه أو مكانته إلا بالتقوى والعمل الصالح، قال -ﷺ- في حجة الوداع: "**يَأَيّهَا النَّاس إِنّ رَبكم وَاحِد، وَإِن أَبَاكم وَاحد أَلاَ لاَ فَضلَ لِعرَبِّي عَلَى عَجمِي، وَلاَ لِعجمي عَلَى عَربِي، وَلاَ لِأحمَرَ عَلَى أَسوَد، وَلاَ لِأسود عَلَى أَحمَر إِلاّ بِالتَّقوَى، إِنَّ أَكرَمَكم عِند اللهِ أَتْقَاكم**"[(5)]، وقال في حديث آخر "**الناس بنو آدم، وآدم خلق من تراب**"[(6)].

وعلى هذا الأساس دعا القرآن الكريم إلى المساواة في التعامل والتقاضي أمام القانون، وفي التكاليف الشرعية والأوامر والنواهي، فالحلال حلال والحرام على الجميع والفرائض ملزمة للجميع والعقوبات مفروضة على الجميع[(7)].

حاول الصحابة أن يشَفعوا أسامة بن زيد في امرأة من قريش من بني مخزوم سرقت، فاستحقت أن يقام عليها حد السرقة، أي: قطع اليد، فكلّمَهُ فيها أسامة، فغضب -ﷺ-، وقال:

(1) رواه البخاري، باب: الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، 14/1، رقم: 13.

(2) الخصائص العامة للإسلام، للقرضاوي، ص: 90-94.

(3) سورة ق، الآية: 43.

(4) سورة الحجرات، الآية: 13.

(5) رواه البيهقي من حديث جابر في شعل الإيمان، ينظر: السلسة الصحيحة، للألباني، 88/2، رقم: 1.

(6) رواه أحمد في مسنده، 523/2، رقم: 10791.

(7) الخصائص العامة للإسلام، للقرضاوي، ص: 94-99، الحلال والحرام، للمؤلف نفسه، ص 35-38، فلسفة التربية الإسلامية، ص: 171-172.

"إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها"(1).

أما الحرية فهي مطلب شرعي قد تكفله الله للإنسان منذ بزوغ الدعوة الإسلامية، ومن دلائلها ما استنبطه العلماء من الآية الكريمة، وهي آخر آية نزلت في الأحكام التشريعية، إنها قوله -تعالى-: ﴿**اليومَ أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلامَ ديناً**﴾(2)، فتمام النعمة لا يكون إلا بالحرية.

ثالثاً: دعوة القرآن إلى النظر والتأمل في الكون:

القرآن يدعو إلى النظر والتأمل في الكون وما فيه من مخلوقات للاستدلال على وجود الخالق ووحدانيته وقدرته وعظمته وتصرفه في الكون، والاستدلال على البعث والجزاء، فأمر الله الإنسان أن ينظر ويعقل ويذكر كل ما في الأرض وما في السماء، وينظر في نفسه كيف خلقت وركبت .... قال تعالى : ﴿**قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير**﴾(3)، وقال: ﴿**لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون**﴾(4).

والآيات الداعية إلى النظر والتفكر في رحاب الكون كثيرة، منها قوله -تعالى-: ﴿**إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس**﴾(5)، وقوله: ﴿**أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج**﴾(6)، وقوله: ﴿**وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين**﴾(7)، وقوله: ﴿**فلينظر الإنسان مم خلق * خلق من ماء دافق**﴾(8).

وهذه الآيات الكونية تنبئ عن الإعجاز العلمي، وتلعب دوراً كبير في ترسيخ العقيدة ومن ثم التحلي بالأخلاق الفاضلة وتهذيب السلوك فيدرك الإنسان ما يجب عليه دنياً وأخرى،

---

(1) رواه أبو داود، ينظر: شرح سنن أبي داود، لعبد المحسن العباد، 2/1، باب: ما جاء في الحد يشفع فيه، رقم: 494.

(2) سورة المائدة، الآية: 3.

(3) سورة العنكبوت، الآية: 20.

(4) سورة الأنبياء، الآية: 22.

(5) سورة البقرة، الآية: 164.

(6) سورة ق، الآية: 6.

(7) سورة الرعد، الآية: 3.

(8) سورة الطارق، الآية: 5 – 6.

ولهذا ينبغي الاعتماد عليها كثيراً في تثبيت الإيمان لدى الناشئة والشباب بدلاً من السفسطة والجدل العقيم، قال -تعالى-: ﴿**كَذَلِكَ يبين الله لكم الآيَاتِ لَعَلَكم تَتفكرونَ**﴾[1].

رابعاً: التيسير ورفع الحرج:

من رحمة الله ورأفته بعباده أن شرع التكاليف لخيرهم وإسعادهم وأحاطها باليسر والتيسير ورفع الحرج عنهم؛ لأنهم مهما أوتوا من استعداد وقوة فهم ضعفاء ينتابهم الوهن والقصور، لذلك ورد في القرآن الكريم، آيات عديدة يراعى الله فيها حالات الاضطرار في الأحكام التشريعية، وهي بمثابة القواعد العامة يستخدمها الإنسان عند الحاجة إليها[2]، ومن هذه الآيات قوله - تعالى ـ: ﴿**مَا يريد الله لِيَجعَلَ عَلَيكم من حَرَجٍ**﴾[3]، وقوله -تعالى-: ﴿**ليسَ عَلَى الضعَفَاء وَلاَ عَلَى المَرضَى وَلاَ عَلَى الذينَ لاَ يَجِدونَ مَا ينفِقونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحوا لِلهِ وَرَسولِهِ**﴾[4]، وقوله -تعالى-: ﴿**هوَ اجتبَاكم وَمَا جعَلَ عَلَيكم فِي الدينِ مِن حَرَجٍ**﴾[5]، وقوله -تعالى-: ﴿**يرِيد الله أَن يخَفف عَنكم وَخلِقَ الإِنسَان ضَعِيفاً**﴾[6]، وقوله: ﴿**لاَ يكَلف الله نَفساً إِلا وسعَهَا لَهَا مَا كَسَبَت وَعَلَيهَا مَا اكتَسَب**﴾[7].

وفي السنة النبوية يسرٌ ومتسع وسهولة، ومن ذلك قوله -ﷺ-: "**إن هذه الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا، وقاربوا، وأبشروا، ويسروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيءٌ من الدلجة**"[8]، وقوله -ﷺ- من حديث عائشة: "**ما خير رسول الله -ﷺ- في أمرين قط إلا اختار أيسرهما ما لم يمكن إثما، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه**"[9].

وبهذا يتضح رفع الحرج في كل التكاليف والمأمورات الشرعية في العبادات والمعاملات والعلاقات وغيرها، فهو "أصل يستبدل به على أحكام العفو ووضع الضيق أو المشقة، أو الإثم، أو

(1) سورة البقرة، الآية: 219-220.

(2) فلسفة التربية الإسلامية، ص: 238.

(3) سورة المائدة، الآية: 6.

(4) سورة التوبة، الآية: 91.

(5) سورة الحج، الآية: 78.

(6) سورة النساء، الآية: 28.

(7) سورة البقرة، الآية: 286.

(8) رواه النسائي، كتاب: الإيمان، باب: الدين يسر، ينظر: السيوطي، 122/8.

(9) رواه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: مباعدته -ﷺ- للآثام واختياره من المباح أسهله.

الضرر الواقع أو المتوقع عن المسلم المكلف في التكاليف لأي من الأسباب المعتبرة في الشرع"[1]، وينبغي مراعاة ذلك في وضع المناهج والتدريس لنتلافى ظاهرة الغلو والتطرف في الأحكام.

خامساً: مبدأ الشمول:

دعوة القرآن الكريم دعوة شاملة وكاملة، فهو يستوعب الزمن كله والحياة كلها، ويستوعب كيان الإنسان كله، فمن حيث الزمن فالقرآن رسالة صالحة لكل وقت وحين وليس مقصوراً على وقت معين، وليس بعده وحي[2]، قال -تعالى- على لسان إبراهيم ويعقوب: ﴿**يَا بَنِي إِن اللّهَ اصطَفَى لَكم الدينَ فَلاَ تَموتن إَلا وَأَنتم مسلِمونَ**﴾[3]، وهو رسالة للعالم أجمع، وغير محدد بمكان معين ولا بأمة معينة ولا بشعب مخصوص، بل يخاطب كل الأمم والشعوب والأجناس والأفراد[4]، قال -تعالى-: ﴿**وَمَا أَرسَلنَاكَ إِلا رَحمَةً للعَالَمِينَ**﴾[5]، وقال -تعالى-: ﴿**قل يَا أَيهَا الناس إِني رَسول اللّهِ إِلَيكم جَمِيعاً**﴾[6]، وقال: ﴿**تَبَارَكَ الذِي نَزلَ الفرقَانَ عَلَى عَبدِهِ لِيَكونَ لِلعَالَمِينَ نَذِيراً**﴾[7]، وقال: ﴿**إِن هوَ إِلا ذِكرٌ للعَالَمِينَ**﴾[8].

وهو يشمل حياة الإنسان كله، روحه وعقله وجسمه وضميره ووجدانه، وجميع أطوار حياته، فشملته رعاية الرحمن وهو جنين في بطن أمه، وهو طفل وشاب وكهل وشيخ كبير، ويشمل كل ميادين نشاطه البشري مادياً كان أو روحياً، فردياً أو جماعياً، فكرياً أو عملياً، دينياً أو سياسياً اقتصادياً أو أخلاقياً[9]، قال -تعالى-: ﴿**أَلا إِن لِلّهِ مَن فِي السمَاوَات وَمَن فِي الأَرضِ**﴾[10]، ﴿**لَه مَا فِي السمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرضِ وَمَا بَينَهمَا وَمَا تَحتَ الثرَى**﴾[11]، كما يشمل القرآن جوانب

(1) ينظر: رفع الحرج في التشريع الإسلامي، لعاطف محفوظ، ص: 3.

(2) الخصائص العامة للإسلام، ص: 105، وأسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص: 740.

(3) سورة البقرة، الآية: 132.

(4) الخصائص العامة للإسلام، ص: 108.

(5) سورة الأعراف، الآية: 158.

(6) سورة الأنبياء، الآية: 107.

(7) سورة الفرقان، الآية: 1.

(8) سورة ص، الآية: 87.

(9) الخصائص العامة للإسلام، ص: 109-112، وأسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص: 740-741.

(10) سورة يونس، الآية: 66.

(11) سورة طه، الآية: 6.

عقيدة الإنسان المسلم، وعباداته ومعاملاته وعلاقاته ونظمه وأخلاقه وتشريعاته وكل ما يتصل بحياته[1]، قال -تعالى-: ﴿**ما فَرطنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيء**﴾[2].

يقول الدكتور/ عمر محمد التومي الشيباني في هذا الخصوص: "فالإسلام الذي تقوم عليه التربية الإسلامية شمولي في نظرته واهتماماته وتفسيره للوجود والكون والحياة، يؤكد التصور الجامع بين الروح والمادة، بين النفس والجسم، بين الفرد والجماعة، بين الدنيا والآخرة، ويهتم ببناء الفرد كما يهتم ببناء المجتمع، ويقدر مصالح المجتمع والفرد معاً وهو كذلك ينظر إلى الأشياء نظرة كلية، ويطلب من المؤمنين به والناس عامة أن يتبنوا هذه النظرة الكلية في حياتهم وفي تمسكهم بالدين وإطاعتهم لأوامره"[3].

سادساً: الوسطية توازن واعتدال:

الوسطية تعني التوسط والاعتدال بين طرفين متقابلين أو متضادين بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير، ولا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه ويطغى على مقابله[4]، أو هي المنهج الذي يسلكه الفرد دون ميل للإفراط والتفريط، وذلك لتحقيق أفضل الأهداف المنشودة وفقاً لشرع الله[5].

ويعرف الدكتور/ محمد عمارة الوسطية بقوله: "إنها الحق بين باطلين والعدل بين ظلمين، والاعتدال بين طرفين"[6].

فالوسطية اعتدال في التدين، وتعني عدم الغلو في أي اتجاه من الاتجاهات والنظر إلى الأمور نظرة وسط من غير إفراط ولا تفريط فلا يقسو الإنسان قسوة تجعله سلبياً في الحياة ولا يعطي نفسه أكثر من حقها في التمتع حتى لا يصير حيواناً من الحيوانات[7]، قال -تعالى-: ﴿**وكلوا وَاشرَبوا وَلاَ تسرِفوا إنه لاَ يحِب المسرِفينَ**﴾[8]، وقال: ﴿**وَلاَ تبذر تبذِيراً * إِن المبَذرِينَ كَانوا إِخوَانَ الشيَاطِينِ وَكَانَ الشيطَان لِربهِ كَفوراً**﴾[9].

(1) المصدر السابق، ص: 113-123.
(2) سورة الأنعام، الآية: 38.
(3) فلسفة التربية الإسلامية، ص: 314.
(4) الخصائص العامة للإسلام، ص: 127 .
(5) الوسطية في الاقتصاد الإسلامي، لسكينة عبد القادر، ص: 18، (رسالة ماجستير لم تناقش بعد).
(6) المصدر نفسه.
(7) فلسفة التربية الإسلامية، ص: 234، والاعتدال في التدين، لمحمد الزحيلي، ص: 307،306.
(8) سورة الأعراف، الآية: 31.
(9) سورة الإسراء، الآية: 26، 27.

وقد كرم الله أمة محمد -ﷺ- ووصفها بالأمة الوسط في عقيدتها وديانتها وتشريعها ونظامها كله[1]، حيث قال: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لتكونوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرسول عَلَيْكُمْ شَهِيداً**﴾[2].

والوسطية تعني التوازن في جميع مطالب الحياة، وتعني التوازن بين مطالب المادة والروح، وبين مطالب الدنيا والآخرة، بحيث لا يطغى التوازن بين المتقابلات، فالليل والنهار، والنور والظلمة، والحرارة والبرودة، والماء واليابسة، كلها بقدر وميزان، لا يطغى شيء منها على مقابله ولا يخرج عن حدة المقدر له، وكذلك الشمس والقمر والنجوم، والمجموعات الكونية السابحة في الفضاء كلٌ في مداره وفلكه ولا يصطدم بغيره[3]، قال الله: ﴿**ما تَرَى فِي خَلْقِ الرحمَٰنِ مِن تَفَاوت**﴾[4]، وقال: ﴿**لَا الشمس يَنبَغِي لَهَا أَن تدرِكَ القَمَرَ وَلَا الليل سَابِقِ النَّهَارِ وَكل فِي فَلَك يَسبَحونَ**﴾[5]، وقال: ﴿**الشمس وَالقَمَر بِحسبَانٍ* وَالنجم وَالشجَر يَسجدَانِ * وَالسمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ المِيزَانَ**﴾[6].

فالوسطية في القرآن تدل على معاني متعددة، منها: مفهوم العدل، لما روي عن أبي سعيد الخذري أن النبي -ﷺ- فسر الوسط بالعدل[7]، وجاءت بمعنى الأجود والأفضل، والتوازن والاعتدال والاستقامة، وما بين الشيء الجيد والرديء، والتوسط الظرفي. وكل هذه المعاني مراده في الآية الكريمة[8]، ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا**﴾، ومطلوب غرسها عملياً في قلوب ذوي الإيمان والتوحيد، والنشء الجديد، لتلافي الفهم الخاطئ للإسلام سلوكاً وممارسة واعتقاداً.

---

(1) الدين والمجتمع، لأحمد الشرباصي، ص: 180.

(2) سورة البقرة، الآية: 142.

(3) فلسفة التربية الإسلامية، ص: 233، وأسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص: 742، والاعتدال في التدين، لمحمد الزحيلي، ص: 307.

(4) سورة الملك، الآية: 3.

(5) سورة يس، الآية: 40.

(6) سورة الرحمن، الآية: 5 -7.

(7) رواه البخاري، كتاب: التفسير، باب: {وكذلك جعلناكم أمة وسطا}.

(8) تفسير المنار، ط: 2، 4/2، وتفسير البغوي، ط: 4، 158/1، والكشاف، للزمخشري، ط: 1، 197/1، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 209/3-213.

سابعا: الواقعية والوضوح:

القرآن الكريم واقعي وواضح في مباديه وتشريعاته وأهدافه، وبعيدٌ عن الخيال والإسراف والتخبط؛ لأنه يصف حقائق قائمة في الوجود، ويقبلها العقل وتستريح إليها النفوس وتستجيب لها الفطرة السليمة(1)، وينهج منهجاً عملياً يلائم الظروف في الإمكانيات المتاحة لكل من الفرد والمجتمع، ومباديه وأهدافه وموضوعاته واقعية أيضاً وممكنة التطبيق في عمومها في كل زمان ومكان، ومناسبة لطبيعة خلق الإنسان وتكوينه الجسمي والعقلي والوجداني(2)، وقد راعى القرآن الكريم الواقع في كل ما دعا إليه الناس من عقائد وعبادات وأخلاق وتشريعات، فمن الجانب العقائدي دعا الله إلى توحيده بما دل على نفسه بآياته الكونية في الأنفس والآفاق ووحيه المنزل(3)، قال -تعالى-: ﴿**وَفِي أَنفسِكُمْ أَفَلَا تبصِرونَ**﴾(4)، وغايته في هذه الدعوة تربية الإنسان وتطهيره، ومنحة حرية التفكير والتصرف؛ حتى يتحرر من عبودية غير الله -تعالى-، ثم منحه السعادة في الدارين(5)، قال -تعالى-: ﴿**وَنَفسٍ وَمَا سَواهَا * قَد أَفلَحَ مَن زَكاهَا**﴾(6).

وفي جانب العبادات فقد راعي الله استعداد الإنسان وظروفه الحياتية والأسرية والاجتماعية والاقتصادية، فلم يكلفه بما لا يطيق من صلاة وصيام وزكاة وحج، بل جعلها مناسبة من حيث الزمن والعدد بما يحقق الصلة بين المؤمن وربه، وجعلها متنوعة مراعاة لحالة؛ حتى لا يلحقه الملل، كما راعى أداءها من حيث العدد والكيفية في الأوقات الطارئة كالسفر والمرض ونحوهما(7)، قال -تعالى-: ﴿**يرِيد الله بِكم اليسرَ وَلاَ يرِيد بِكم العسرَ**﴾(8).

وفي الجانب الأخلاقي راعى واقع الإنسان في سلوكه وتعامله، من حيث ضعفه ودوافعه وحاجاته البشرية المادية والنفسية، فعلى سبيل المثال أقرت إقامة العدل ودرء العدوان، ولكنه في نفس الوقت حث على العفو والصبر والمغفرة للمسيء(9)، قال -تعالى-: ﴿**وَجَزَاء سَيئَةٍ سَيئَةٌ مثلهَا**

(1) الخصائص العامة للإسلام، ص: 161.

(2) فلسفة التربية الإسلامية، ص: 316.

(3) الخصائص العامة للإسلام، ص: 161.

(4) سورة الذاريات، الآية: 21.

(5) منهج القرآن في الدعوة إلى التوحيد، ص: 281-282.

(6) سورة الشمس، الآية: 7-10.

(7) الخصائص العامة للإسلام، ص: 163-164.

(8) سورة البقرة، الآية: 185.

(9) المصدر السابق، ص: 165-166.

فَمَن عَفَا وَأَصلَحَ فَأَجره عَلَى اللهِ إنه لَا يحِب الظالمِينَ﴾(1)، وقال: **﴿وإِن عَاقَبتم فَعَاقِبوا بِمِثلِ مَا عوقِبتم بِهِ ولَئِن صَبَرتم لَهوَ خَيرٌ للصابِرِينَ﴾**(2)، وقال: **﴿وَالذِينَ إِذَا فَعَلوا فَاحِشَةً أَو ظَلَموا أَنفسَهم ذَكَروا اللهَ فَاستَغفَروا لِذنوبِهِم وَمَن يَغفِر الذنوبَ إِلا الله وَلَم يصِروا عَلَى مَا فَعَلوا وَهم يَعلَمونَ﴾**(3).

وفي الجانب التشريعي كان أكثر واقعية، فلم يغفل الواقع في كل ما أحل وحرم، ولم يهمل الواقع في كل ما وضع من أنظمة وقوانين للفرد للأسرة، وللمجتمع والدولة وللإنسانية كلها، فلم يحرم الله شيئاً يحتاج إليه الإنسان في واقع حياته كأكل الطيبات، وأخذ الزينة للمساجد، والترويح على النفس بالسباق وألعاب الفروسية مثلاً، كما أنه لم يبح شيئاً يضر بالإنسان ويفتك به، مثل: شرب الخمر ولعب الميسر، وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير ونحوه(4).

أما الوضوح فالقرآن الكريم جاء واضح المعالم والدلالة في مبادئه وتعاليمه وأحكامه وتشريعاته كلها، وواضح في أصوله وقواعده ومصادره ومنابعه، وفي أهدافه وغاياته وفي مناهجه ووسائله، ويقدم الإجابات الواضحة للنفس الإنسانية والعقل البشري في كل القضايا والمسائل، وإزاء كل التحديات والأزمات(5)، ومن ذلك قوله تعالى في تثبيت عقيدة التوحيد : **﴿تعَالَوا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَينَنَا وَبَينَكم أَلا نَعبدَ إِلا اللهَ وَلاَ نشرِكَ بِهِ شَيئاً وَلاَ يَتخِذَ بَعضنَا بَعضاً أَربَاباً من دونِ اللهِ﴾**(6)، وقوله في الجزاء الأخروي : **﴿فَمَن يَعمَل مِثقَالَ ذَرةٍ خَيراً يَرَه * وَمَن يَعمَل مِثقَالَ ذَرةٍ شَراً يَرَه﴾**(7).

وهكذا الوضوح في آيات الأحكام والتشريع والآداب وغيرها، وهذه الأمور والقضايا الواقعة والواضحة وضوح الشمس ينبغي الاهتمام بها كثيراً عند وضع المناهج العلمية لأبنائنا وتجليتها في كل المقررات والموضوعات الدراسية لتعم الفائدة.

---

(1) سورة الشورى، الآية: 40.

(2) سورة النحل، الآية: 126.

(3) سورة آل عمران، الآية: 135.

(4) المصدر السابق. ينظر فيه المسألة مفصلة من ص: 170 – 186.

(5) فلسفة التربية الإسلامية، ص: 315 – 316، والخصائص العامة للإسلام، ص: 187 وما بعدها.

(6) سورة آل عمران، الآية: 64.

(7) سورة الزلزلة، الآية: 7 - 8.

ثامناً: الثبات والمرونة:

المنهج الذي رسمه الإسلام للإنسان هو منهج عالمي خالد مساير للزمن صالح لكل زمان ومكان، وذلك بتوفير عنصر الثبات والخلود، وعنصر المرونة والتطور معاً(1)، قال الشيخ القرضاوي: "وهذا من روائع الإعجاز في هذا الدين وآية من آيات عمومه وخلوده، وصلاحيته لكل زمان ومكان"(2)، ثم أوضح سيادته هاذين المجالين، فقال: "إنه الثبات على الأهداف والغايات، والمرونة في الوسائل والأساليب، الثبات على الأصول والكليات، والمرونة في الفروع والجزئيات، الثبات على القيم الدينية والأخلاقية، والمرونة في الشؤون الدنيوية والعلمية"(3).

ثم أوضع قاعدة ضابطة للتفريق بين الثبات والمرونة، فقال: "يتجلى هذا الثبات في المصادر الأصلية النصية القطعية للتشريع، من كتاب الله وسنة رسوله، فالقرآن هو الأصل، والدستور والسنة هي الشرح النظري والبيان العلمي للقرآن، وكلاهما مصدر إلهي معصوم لا يسع مسلماً أن يعرض عنه ....، وتجلى المرونة في المصادر الاجتهادية التي اختلف فقهاء الأمة في مدى الاحتجاج بها ما بين موسع ومضيق ومقلٍ ومكثر، مثل: الإجماع، والقياس والاستحسان، والمصالح المرسلة، وأقوال الصحابة، وشرع من قبلنا، وغير ذلك من مآخذ الاجتهاد وطرائق الاستنباط"(4).
وخلاصة القول أن الأحكام الثابتة التي لا تتغير ولا تتبدل مهما كانت الأسباب والأوضاع والأحوال تمثل في موجبات الإيمان الستة، وأركان الإسلام العلمية الخمسة، وفي المحرمات اليقينية الثابتة بنص القرآن والسنة، مثل: النفس، والزنا، والربا، ونحو ذلك، وفي أمهات الفضائل، مثل الصدق، والأمانة، والعفة، والصبر، والوفاء وغيرها، وفي شرائع الإسلام القطعية المتعلقة بالزواج والطلاق والميراث والحدود والقصاص. أما ما يتعلق بجزئيات الأحكام وفروعها العلمية فهي مرنة، وتتغير بتغير الزمن والظروف والأحوال، وهي تتطور بتطور البشر والأمكنة(5)، يقول ابن القيم -رحمه الله-: "الأحكام نوعان: نوع لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها، لا يحسب الأزمنة ولا الأمكنة ولا اجتهاد الأئمة، كوجوب الواجبات، وتحريم المحرمات، والحدود المقدرة، بالشرع على الجرائم ونحو ذلك، فهذا لا يتطرق إليه تغيير ولا اجتهاد يخالف ما وضع عليه، والنوع الثاني ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زماناً ومكاناً وحالاً، كمقادير التعزيزات وأجناسها وصفاتها فإن الشارع ينوع فيها حسب المصلحة ..."(6).

---

(1) فلسفة التربية الإسلامية، ص: 242، والخصائص العامة للإسلام، ص: 216.

(2) المصدر نفسه، للقرضاوي.

(3) المصدر نفسه، ص: 216 - 217.

(4) المصدر نفسه، ص: 220.

(5) المصدر السابق، للقرضاوي، ص: 220-222، وينظر فيه: (الثبات والمرونة في هدى القرآن) من ص: 222 إلى ص: 225.

(6) ينظر: إعانة اللهفان، لابن القيم، 1/346-349.

مصادر البحث:

- أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية لعبد الحميد الصيد الزنتاني، الدار العربية للكتّاب، ليبيا، تونس: 1984م.
- الاعتدال في التدين، لمحمد الزحيلي، طرابلس، كلية الدعوة الإسلامية، ط: 3.
- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن قيم الجوزية، دار الكتّاب العلمية، ط: 2، 2001م.
- الإيمان والحياة، ليوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، ط: 19، 1998م.
- تجربة التربية الإسلامية في ميزان البحث، لمحمد سعيد البوطي.
- تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج، لابن الملقن سراج الدين أبي حفص الشافعي، تحقيق: هبة الله بن سعاف اللحياني، مكة المكرمة، دار حراء، ط: 1، 1406هـ.
- التربية الإسلامية وفلسفتها، لمحمد عطية الأبراشي.
- تفسير التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984م.
- تفسير الكشاف، للزمخشري، ضبط عبد السلام شاهين، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: 2.
- تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: 2.
- التلخيص المعين في شرح الأربعين، لابن عثيمين.
- جامع الأحاديث، لعبد الرحمن السيوطي.
- الجامع للأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد القرطبي، القاهرة، دار الشعب، ط: 2.
- الخصائص العامة للإسلام، ليوسف القرضاوي، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط: 10، 1997م.
- خلق المسلم، لمحمد الغزالي، إشراف: داليا محمد إبراهيم، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الدين والمجتمع، لأحمد الشرباصي.
- رفع الحرج في التشريع الإسلامي - دراسة أصولية فقهية، لعاطف أحمد محفوظ، مطبعة جامعة المنصورة.

- السلسة الصحيحة، لمحمد ناصر الدين الألباني، الرياض، مكتبة المعارف.
- سنن أبي داود، لسليمان بن الاشعث، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
- سنن النسائي، شرح الإمامين السيوطي والسندي، تحقيق: السيد محمد سيد، مصر، القاهرة، دار الحديث، ط: 1.
- صحيح البخاري، لأبي عبد الله البخاري، إستنبول، دار الطباعة العامرة، 1401هـ - 1981م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- صحيح الترغيب والترهيب، لمحمد ناصر الدين الألباني، الرياض، مكتبة المعارف، ط: 1.
- صحيح مسلم بشرح النووي، لأبي زكريا يحي بن شرف النووي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط: 1.
- فلسفة التربية الإسلامية، لعمر محمد التومي الشيباني، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان.
- مختصر شرح الجامع الصغير، للمناوي، مصطفى محمد عمارة، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الباني الحلبي وشركاه، ط: 1.
- مسند أحمد بن حنبل، دار الحديث، القاهرة، ط: 1، 1995م.
- من أسس التربية الإسلامية، لعمر محمد التومي الشيباني.
- المناهج، للدمرداش سرحان، و منير كامل، ط: 3، 1972م.
- منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، لمحمد سعيد البوطي سوريا، لبنان، دار الفكر، ط: 3، 1998م.
- منهج القرآن في التربية، لمحمد شديد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1977م.
- منهج القرآن الكريم في الدعوة إلى التوحيد، لأحمد محمد رحومة، طرابلس، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية.
- نحو ثقافة إسلامية، لمصطفى رجب، القاهرة، المكتب المصري لتوزيع المعلومات.
- الوسطية في الاقتصاد الإسلامي، لسكينة عبد القادر المهدي الزين، رسالة الماجستير، جامعة سبها، كلية الآداب، 2011 -2012م.